مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

عناية الرحمن بقلوب أهل الإيمان في القرآن: دراسة موضوعية

د. بندر بن سليم عيد الشراري

أستاذ مشارك في قسم القرآن وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

DOI: 10.21608/qarts.2024.284320.1933

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٣) أبريل ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

عناية الرحمن بقلوب أهل الإيمان في القرآن:

دراسة موضوعية

الملخص:

يجمع هذا البحث الآيات القرآنية الدالة على عناية الله بقلوب المؤمنين، وحمايته لها، ثم بيان معناها، واستنباط مظاهر عناية الله بالمؤمنين من خلالها.

والهدف من ذلك تعليق قلوب المؤمنين بالله ربّ العالمين، وبيان حاجة المؤمن إلى حياة قلبه من خلال القرآن الكريم، وإبراز عناية الله بقلوب أهل الإيمان.

وقد تلخصت أهم النتائج بظهور الفرق بين القلب والفؤاد في اللغة واستعمال القرآن، وأن الله يذكر قلوب العاملين في القرآن؛ لأنها محلّ نظره أولًا، وأن قلوب المؤمنين لولا عناية الله بها وحمايته لها لضلّت كما ضلّت قلوب غيرهم.

وتلخصت التوصيات بإبراز تناول القرآن للقلوب، ودراسة الأوجه البلاغية والبيانية، خاصة في إسناد الأفعال لله تارة وللقلوب تارة فيما يتعلّق بصلاحها، ودراسة أسباب الاختلاف في المغايرة في الاستعمالات الخاصة بالقلب، والاستعمالات الخاصة بالفؤاد.

الكلمات المفتاحية: عناية، القلوب، المؤمنون، حماية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله علّام الغيوب، مصرّف القلوب، كاشف الكروب، والصلاة والسلام على من أُنزل القرآن على قلبه، وعلى آله وصحبه، وعلى من انتظم في حزبه إلى لقاء ربّه.

أما بعد فإن خلق القلب وجعله محل صلاح العبد، فهو قائد الجوارح، إن صلح صلح الجسد كله وإن فسد فسد الجسد كله.

وقارئ القرآن يجد أن الله حدّثنا عن القلوب وصلاح أصحابها وفسادهم، فأثنى على قلوب وأهلها، وبيّن سبب صلاحها وهدايتها، وذمّ قلوبًا وأهلها، وبيّن لنا سبب ضلالها وعمايتها.

وكان من تلك القلوب قلوب أهل الإيمان، إذ وصفها الله بصفات يطمع العاقل في الاتصاف بها، ونيل ما أعدّه الله لأهلها، وأشار الله إلى عنايته بها وحمايته لها؛ فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقد رأيت أن أجمع الآيات التي تشير إلى عناية الله بقلوب أهل الإيمان، وهي الآيات التي يُسند الله[1] فيها فعله بالقلوب مباشرة.

أهمية الموضوع:

١-تعلّقه بهداية القلوب وصلاحها.

٢-تعرّض القرآن لها في آيات عدّة.

٣-حاجة المؤمنين لإصلاح قلوبهم.

---

(١) أريد الإسناد النحوي في الفعل والفاعل، بحيث يكون الفعل هو المسند، والفاعل هو المسند إليه، وتكون القلوب مفعولًا به.

أسباب اختياره:

١-جمع الآيات المتعلّقة بعناية الله بقلوب المؤمنين.

٢-إبراز مظاهر عناية الله بقلب المؤمن.

٣-بيان نعمة الله على المؤمنين بعنايته بقلوبهم.

حدود البحث:

جمع الآيات التي تشير إلى عناية الله بقلوب المؤمنين إشارة ظاهرة وذلك بإسناد الفعل إلى الله مباشرة أو مما يدل على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ ﴾ [الأنفال: ١١] وقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢] دون الآيات التي أسندت الفعل للقلب أو لغير الله تعالى كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ ﴾ [الزمر: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾ [الرعد: ٢٨] ثم أُبرز من خلالها مظهر عناية الله بقلوب المؤمنين.

الدراسات السابقة:

١- حديث القرآن عن القلوب ومنهجه في إصلاحها. إعداد: عادل بن سعد الجهني. وهي رسالة ماجستير مقدّمة في قسم التفسير في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة هام ١٤١٤هـ

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة أبواب، عنوّن للباب الأول بـ(حديث القرآن عن القلب السليم) وعقد فيه فصلين الفصل الأول عن أوصاف القلب السليم، والفصل الثاني عن أسباب سلامة القلب وذكرها فيما مباحث.

وعنوّن للباب الثاني بـ(حديث القرآن عن القلب المريض) ونحا به نحوًا من الباب الأول.

وعنوّن للباب الثالث: بـ(حديث القرآن عن القلب الميت).

وبالنظر إلى البحث لم يتطرق الباحث إلى موضوع عناية الله بقلوب أهل الإيمان، وإنما كان جملة البحث في أوصاف تلك القلوب وما يتعلّق بها من أسباب وآثار.

٢- القِيَم التربوية في القرآن الكريم (تربية القلوب نموذجًا) إعداد: الدكتور إدريس الطيب علي. وهو بحث مقدّم في المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية (بمناسبة مرور ١٤ قرنًا على نزوله) والذي عقدته جامعة إفريقيا العالمية، المركز الإسلامي الإفريقي. بين ٢٠-٢٢ محرم ١٤٣٣هـ، في الخرطوم- السودان.

وقد جاء البحث في تمهيد ومبحثين، تحدّث في التمهيد عن تعريف القلب والعلاقة بينه وبين الفؤاد، والنفس والعقل والصدر.

وفي المبحث الأول تحدث عن أقسام القلوب والتمييز بينها وذكر صفاتها.

وفي المبحث الثاني تحدث عن أسس التربية الأخلاقية السليمة وعلاج الأمراض.

وبالنظر إلى ما كتبه الباحث فإنه لم يتطرّق إلى عناية الله بقلوب أهل الإيمان من الوجه الذي درسته.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها، أهمية الموضوع وأسباب اختيار، وحدود البحث والدراسات السابقة.

التمهيد، وذكرت فيه تعريف القلب، والفرق بينه وبين الفؤاد، وحديث القرآن عن القلوب.

المبحث الأول: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: تليين قلب النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته من الغلظة على المؤمنين.

المبحث الثالث: إذهاب الغيظ من قلوب المؤمنين.

المبحث الرابع: حماية قلوبهم من الزيغ.

المبحث الخامس: تطهير قلوبهم.

المبحث السادس: الربط على قلوبهم.

المبحث السابع: تثبيت الإيمان في قلوبهم.

المبحث الثامن: : تخليص قلوبهم.

المبحث التاسع: التأليف بين قلوبهم.

المبحث العاشر: هداية قلوبهم.

المبحث الحادي عشر: تزيين الإيمان في قلوبهم.

المبحث الثاني عشر: إنزال السكينة على قلوبهم.

منهج الدراسة:

١- سلكت في ترتيب الدراسة في المباحث المنهج التالي:

أ- تصدير المبحث بعنوان مناسب للآية المراد دراستها.

ب- إيراد الآية الدالة على عنوان المبحث

ج- التعريف اللغوي للفظ المبحث المنتزع من الآية إن كان غريبًا أو مشكلًا.

د- بيان معنى الآية إجمالًا.

هـ- ذكر معنى اللفظة المصدّرة في المبحث من جهة تفسيرية.

و- إبراز عناية الله بالقلوب من خلال الآية المدروسة، وقد سلكت في هذه الفقرة منهج الاستنباط في الغالب والاستئناس بما قاله المفسرون حول المعنى المستنبط.

٢- إذا كان في المبحث أكثر من آية فإني أسلك الطريقة السابقة إلا أني أقدّم بيان المعنى اللغوي للفظة المبحث قبل الآيات وبعد عنوان المبحث مباشرة.

٣- كتابة البحث وفق القواعد الإملائية.

٤- نقل الآيات القرآنية وفق رسم مصحف المدينة.

٥- العزو إلى المصادر وتخريج الأحاديث تخريجًا يوصل إلى الحكم على الحديث.

التمهيد:

أهمية العناية بالقلب وإصلاحه.

إن العناية بالقلب أول ما ينبغي أن يحرص عليه المؤمن، إذ إنه محلٌّ لنظر الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" رواه مسلم.[٢]

والأعمال لا قيمة لها ما لم تصدر من قلب صالح تقيٍّ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧] والتقوى محلّه القلب كما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ" الحديث. رواه مسلم.[٣]

وقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– "أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ" متفق عليه.[٤]

---

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله رقم الحديث– ٢٥٦٤– (٤/ ١٩٨٧)

(٣) صحيح مسلم، كتاب، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، رقم الحديث–٢٥٦٤– (٤/ ١٩٨٦)

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث–٥٢– (١/ ٢٠) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم الحديث–١٥٩٩–(٣/ ١٢١٩)

فإذا كانت هذه مكانة القلب وأثرها، فإن أول طريق للعناية بصلاح العبد تكون في هداية قلبه، وهداية القلب إنما تكون بيد مقلّب القلوب، ولذلك كانت عنايته بقلوب عباده ظاهرة، وفضله عليهم في هدايتهم عظيم.

تعريف القلب، والفرق بينه وبين الفؤاد.

تعريف القلب في اللغة:

قال ابن فارس: "القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر على ردٌّ شيء من جهة إلى جهة.

فالأول القلب: قلب الإنسان وغيره، سُمّي؛ لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه. وخالص كل شيء وأشرفه قلبه.

والأصل الآخر: قلبت الثوب قلبًا...وقلبت الشيء: كببته، وقلبته بيدي تقليبًا.[٥]

والأصل الثاني ملاحظٌ أيضًا في تسمية قلب الإنسان بذلك، فقد قيل: إنما سُمّي القلب قلبًا؛ لأنه يتقلب.[٦]

الفرق بين القلب والفؤاد عند أهل اللغة.

القول باتفاق المعنى في المترادفات من كل وجه وعدمه فيه خلاف مشهور، ليس هذا مقام تحقيقه، إلا أن القول بالاتفاق في أصل المعنى مع اختصاص كل لفظ بمعنى زائد ليس في اللفظ الآخر هو الراجح، لا سيما بالنظر في استعمال القرآن للمترادفات في الموضع الواحد كما سيأتي في القلب والفؤاد.

---

(٥) **مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١٧)**

(٦) **انظر تاج العروس، للزبيدي (٤/ ٧٠)**

وإن كان من أهل اللغة من لم يفرّق بينهما وجعلهما شيئًا واحدًا، كما فعل الجوهري في الصحاح، عند بيانه للقلب حيث قال: "القَلْب: الفؤاد"[٧] وعند تعريفه للفؤاد قال: "الفُؤادُ: القلبُ، والجمع الأَفْئِدَة."[٨]

وتبعه بعض أهل اللغة حتى قال أبو هلال العسكري: "لم يُفرّق بينهما أهل اللغة، بل عرّفوا كلا منهما بالآخر"[٩]

وهذا الذي قاله أبو هلال مقبول لو قال: لم يفرّق بينهما بعض أهل اللغة، فقد قال الخليل بن أحمد: "القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط"[١٠] وهذا تفريق بينهما عند الخليل.

وحكى الزبيدي أن التفريق قول أكثر أهل اللغة.[١١]

وحاصل ما فرّقوا بينهما[١٢]:

١- أن القلب جزء من الفؤاد.
٢- أن الفؤاد وعاء القلب أو غشاؤه، والقلب حبّته.
٣- الفؤاد مُقدّم القلب وما استدقّ منه، والقلب أصله وما اتّسع منه.

---

(٧) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (١/ ٣٠٨)**
(٨) **المصدر السابق (٢/ ١٢١)**
(٩) **معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص: ٤٣٣)**
(١٠) **العين، للخليل (٥/ ١٧٠)**
(١١) **تاج العروس، للزبيدي (٨/ ٤٧٧)**
(١٢) **انظر تاج العروس (٨/ ٤٧٧) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب المكي (٢/ ٨٥)**

ومما يدل على التفريق بينهما وأن كلًّا منهما له استعمال خاص وأثر خاص ما صح عن النبي صلى الله في قوله: "أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا"(١٣)

ففرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القلوب والأفئدة.

قال ابن الأثير: "أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوبًا وألين أفئدة" القلوب: جمع القلب، وهو أخص من الفؤاد في الاستعمال."(١٤)

قال الخطابي: "أرق أفئدة: وصف الأفئدة بالرقة والقلوب باللين، وذلك أن الفؤاد غشاء القلب، وإذا رق نفذ القول وخلص على ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله، فإذا صادف القلب لينا علق به ونجع فيه. (١٥)

الفرق بين القلب والفؤاد في استعمالات القرآن:

مما يدل على وجود فرق بين القلب والفؤاد في القرآن ما يضاف إلى القلب وما يضاف إلى الفؤاد، ففي آية واحدة جمع الله بينهما مع تخصيص كل منهما باستعمال خاص، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ١٠﴾ [القصص: ١٠] فجعل الفراغ للفؤاد، والربط للقلب.

وكذلك في آيات أخر فإن الربط مقرون بالقلب، كما قال الله تعالى: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ

(١٣) **صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قوم الأشعريين وأهل اليمن (٥/ ١٧٣) برقم ٤٣٨٨**
(١٤) **النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٩٦)**
(١٥) **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٣/ ١٧٨٠)**

إِذۡا شَطَطٗا١٤﴾ [الكهف: ١٤] وقوله تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ١١﴾ [الأنفال: ١١]

وأما الفراغ فللفؤاد كما في الآية السابقة، وكما في قوله تعالى: ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣]

وجعل الله التثبيت للفؤاد والطمأنينة للقلب، ففي التثبيت قال الله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]

وفي الطمأنينة قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَ لَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

ولما كانت السكينة قريب من معنى الطمأنينة فقد جعلها الله للقلب، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ [الفتح: ٤] وقال: ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ [الفتح: ١٨] .

وجعل للقلب القسوة والمرض واللين والألفة والوجل والسلامة وغيرها.

فيلاحظ مما تقدّم أن هنالك فرقًا بينهما من جهة الاستعمال القرآني، وأن للقلب استعمالات لا تأتي مع الفؤاد، وللفؤاد استعمالات لا تأتي مع القلب.

حديث القرآن عن القلوب:

تحدث القرآن عن القلوب وأحوال أهلها، ويمكن تقسيمها بعدة اعتبارات.

فباعتبار الملّة فإنها تنقسم إلى أربعة أقسام:

قلوب المؤمنين، وقلوب المنافقين، وقلوب أهل الكتاب، وقلوب عموم الكافرين.

فعن قلوب المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]

وعن قلوب المنافقين قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ١٠﴾ [البقرة: ١٠] وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾ [المائدة: ٥٢]

وعن قلوب أهل الكتاب قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾ [البقرة: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ١٤﴾ [الحشر: ١٤]

وعن قلوب الكافرين قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ٧﴾ [البقرة: ٧] وقال الله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ [الأنعام: ٢٥]

ومنهم من يفصّل في هذا التقسيم ويقسّمها باعتبار درجات أهلها ومراتبهم، كقلب الموحّد، وقلب العارف، وقلب المحب، وقلب العاصي، وقلب المنافق المرائي... إلخ.(١٦)

ويمكن تقسيم القلوب باعتبار أوصافها إلى أقسام، فيقال: قلب سليم، وقلب مطمئن، وقلب وجل، وقلب مريض، وقلب قاسٍ.

والمتأمّل في القرآن يجد أن الحديث عن قلوب المؤمنين في القرآن هو الأكثر، ومن ذلك كلام الله عنها من جهة فعله بها، والذي يشعر بالعناية بها والحماية لها.

وقد حرصت أن تكون كتابتي في هذا البحث منصبّةً على الآيات التي تشير إلى ذلك إشارة ظاهرة وذلك بإسناد الفعل إلى الله مباشرة أو قريب منها، ثم أُبرز من خلالها مظهر عناية الله بقلوب المؤمنين، وحمايته لها، ليطمئن قلب الله المؤمن بعناية الله به، ويحسن الظنّ بربّه في أنه قد تولّى قلبه وهداه للإيمان من غير حول منه ولا قوة.

المبحث الأول: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

معنى ثبت في اللغة:

قال ابن فارس: "(ثَبَتَ) الثَّاءُ وَالْبَاءُ وَالتَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ دَوَامُ الشَّيْءِ. يُقَالُ: ثَبَتَ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا. وَرَجُلٌ ثَبْتٌ وَثَبِيت."(١٧)

وقال ابن عاشور: "والتثبيت: حقيقته التسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطراب والتزلزل."(١٨)

---

(١٦) **انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (٤/ ٢٨٩)**

(١٧) **مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٣٩٩)**

(١٨) **التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/ ١٩١)**

وقد ذكر الله تثبيت قلب رسوله صلى الله عليه وسلم في موضعين:

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠]

معنى الآية: أن كلًّا من الرسل نقصّ عليك من أخبارهم ما نشدّد به قلبك ونحفظه، ولتعلم أن الذي فُعل بك من الأذى قد فُعل بالأنبياء قبلك.(١٩)

معنى التثبيت في الآية: اختلفت عبارات السلف في معنى التثبيت في الآية، مع اتفاقها على أصل المعنى:

فقيل معنى نثبّت: نسدّد، وهو مروي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–.

وقيل: نقوّي، وهو مروي عن الضحاك وابن جريج.(٢٠)

وقيل: تسكين القلب.(٢١)

وكل هذه المعاني صالحة لمعنى التثبيت لا تعارض بينها ويصح حمل الآية عليها.

مظهر عناية الله بقلب نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية:

لم يُؤذَ أحدٌ في الإسلام كما أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما كانت كثرة الأذى واستمراره قد تؤثّر على القلب، فتُثقل النفس عما كُلِّفت به من أعباء الدعوة، حمى الله قلب رسوله من ذلك بأن قوّاه أمام عواصف الأذى، وصبّره ليستمرّ في تبليغ

(١٩) **انظر بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ١٧٦) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (٢/ ٣١٤)**

(٢٠) **انظر للقولين الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٥/ ١٩٥) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٦/ ٢٢٨)**

(٢١) **انظر معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٨٤)**

رسالة ربه، وذلك بأن قصّ الله عليه من أخبار إخوانه من الرسل وما لاقوا من صنوف الأذى وكيف كانت عاقبتهم.(٢٢)

وليس معنى ذلك أن قلب رسول الله لم يكن ثابتًا قبل ذلك، قال السمعاني: "فإن قيل: قد كان فؤاده ثابتا فأيش معنى قوله: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ [الفرقان: ٣٢]؟

قلنا: معناه لتزداد ثباتا، وهذا مثل قوله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]."(٢٣)

فالمقصود زيادة تثبيت قلبه بزيادة الأدلة، لأنه كلما تكاثرت الأدلة كان ذلك أثبت للقلب.(٢٤)

ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: "ليزيدك يقينًا ويقوي قلبك.(٢٥)

الموضع الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]

معنى الآية:

لما كانت الكتب السابقة تنزل على الرسل جملة واحدة كالتوراة والإنجيل، اعترض الكفار على نزول القرآن مفرّقًا، فقالوا: هلّا نزل القرآن على محمد جملة واحدة كما نزلت الكتب السابقة، فبين الله تعالى علّة إنزاله كذلك على رسوله بأن ذلك فيه تثبيتٌ لقلب

---

(٢٢) **انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ١١٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ١٥٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٦/ ٢٢٩)**

(٢٣) **تفسير السمعاني (٢/ ٤٦٩)**

(٢٤) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٣٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٩١)**

(٢٥) **التفسير الوسيط، للواحدي (٢/ ٥٩٨)**

رسول الله، لما فيه نزوله من مسايرة الوقائع والأحداث كما قال بعدها: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣].(٢٦)

معنى ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ قال ابن عباس: "لنشدد به فؤادك ونربط على قلبك، يعنى بوحيه الذي نزل به جبريل عليك من عند الله وكذلك يفعل بالمرسلين من قبلك."(٢٧)

وقال ابن جريج: "لنصحّح به عزيمة قلبك ويقين نفسك، ونشجعك به.(٢٨)

عناية الله بقلب نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية:

لما كان اعتراض الكفار الذي جاء بصورة الاقتراح بأن ينزل الله على رسوله القرآن جملة واحدة، مشعرًا بأنه لو حصل لهم اقتراحهم لآمنوا به، بيّن لله لرسوله أن هذا الإنزال إنما جاء للعناية بقلبك الذي يحتاج إلى التثبيت في مقابل هذه الاعتراضات والاقتراحات التي لا يفتأ الكفار من ترويجها، فكان تثبيت القلب هو صمام أمان المؤمن عن الميل إلا تلك المحاولات، كما قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ٩﴾ [القلم: ٩] وقال الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـًٔا قَلِيلًا٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤]

ومن تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم تثبيتُ قلوب أتباعه حين يراهم يمتثلون أوامر الله شيئًا فشيئًا حسب تدرج التشريع فأنزل الله له كتابه مفرّقًا "ليكون قبوله على المسلمين أسهل؛ لأنه لو أُنزلت الأحكام والشرائع كلها جملة واحدة، شقّ على المسلمين قبولها، كما شقّ على بني إسرائيل."(٢٩)

---

(٢٦) **انظر جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٤٥)**

(٢٧) **تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٠)**

(٢٨) **جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٤٦)**

(٢٩) **بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٥٣٧)**

المبحث الثاني: تليين قلب النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته من الغلظة.

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

معنى الغلظة:

غَلُظَ الشيء يَغْلُظ غِلَظاً فِي الخِلْقة، وصارَ غليظًا، ورجلٌ فيه غلظة، أي فظاظة، وهي ضدُّ الرِّقة في الخلق والطبع والمنطق والعيش.(٣٠)

ومن التعريف اللغوي يظهر أن الغلظ والفظاظة شيء واحد، إلا أن بينهما فرقًا في حال اجتماعهما كما في هذه الآية، فالفظاظة في القول، وغلظ القلب في الفعل.(٣١)

قال الراغب: "وغلظ القلب: عبارة عن قلة الرحمة. وبإزائه رقّة القلب."(٣٢)

معنى الآية:

قال ابن جرير: "تأويل الكلام: فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم لأتباعك وأصحابك، فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضيت عن كثير

(٣٠) **انظر تهذيب اللغة، للأزهري (٨/ ٩٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٣/ ٤٢٧) لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٤٤٩)**

(٣١) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٣/ ١٩٠) التفسير الوسيط، للواحدي (١/ ٥١٢) الوجيز، للواحدي (ص: ٢٤٠)**

(٣٢) **تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ٩٤٩)**

ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك، ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم"[٣٣]

مظاهر عناية الله بقلب رسوله في هذه الآية:

لما كان من شرط الداعية أن يكون صاحب لين في دعوته، كان رسل الله أولى بهذه الصفة، وأولاهم بها رسولنا صلى الله عليه وسلم، فرزقَه الله اللين مع المؤمنين، وحمى قلبه من الغلظة، لئلا يكون ذلك سببًا في ترك الناس لدعوته وعدم استجابتهم لرسالة ربه، وهو مما ينبغي على أتباعه من الدعاة والعلماء أن يتخلّقوا بأخلاقه ويستنّوا بهديه؛ ليقبل الناس ما يدعون إليه ولا ينفرون من الحق بسبب سوء أخلاق الداعي.

قال السعدي "الأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تُنَفِّر الناس عن الدين، وتُبغِّضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله."[٣٤]

ومن مظاهر هذه العناية أن الله أمره بالعفو عن زلة من زلّ من أُمّته، وأن يشاور أصحاب الرأي منهم ليظهر لهم لين جنابه صلى الله عليه وسلم، ورقّة قلبهم تجاههم.

(٣٣) **جامع البيان، للطبري (٦/ ١٨٦)**

(٣٤) **تفسير السعدي الرحمن (ص: ١٥٤)**

قال ابن إسحاق: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] "أي لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت عنهم غنيًا، تؤلفهم بذلك على دينهم"[٣٥]

المبحث الثالث: إذهاب الغيظ من قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ١٥﴾ [التوبة: ١٥]

معنى الغيظ في اللغة:

الغيظ مأخوذ من غظتُ فلانًا، أَغيظه غيظًا، ويقال: اغتاظ عليه وتغيَّظ، وهو نوع من الغضب، كامن في نفس العاجز.[٣٦]

وقال ابن فارس: الْغَيْنُ وَالْيَاءُ وَالظَّاءُ أُصَيْلٌ فِيهِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، يَدُلُّ عَلَى كَرْبٍ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَيْرِهِ.[٣٧]

وقيل: هي الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه، ولذلك يقال: تغيَّظت الهاجرة، إذا اشتدَّ حَمْيُها.[٣٨]

وقال ابن عاشور: "الغيظ: الغضب المشوب بإرادة الانتقام."[٣٩]

---

(٣٥) **المصدر السابق (٦/ ١٨٩)**

(٣٦) انظر تهذيب اللغة، للأزهري (٨/ ١٥٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٣/ ٣١٩)

(٣٧) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٤٠٥)

(٣٨) انظر تهذيب اللغة، للأزهري (٨/ ١٥٧) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٦١٩)

(٣٩) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ١٣٦)

وبهذا يتبيّن الفرق بين الغيظ والغضب أن الغيظ قدر زائد على الغضب، فالغيظ فوق الغضب، وهو أشدّ منه، والغضب بداية الغيظ، والغيظ نهاية الغضب.[٤٠]

سبب غيظ قلوب المؤمنين في الآية.

روى البيهقي وغيره عن عروة بن الزبير، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، أنهما حدثاه جميعًا، قالا: كان في صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن ندخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهرًا، ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ليلًا بماء لهم يقال له: الوتير، قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح، فقاتلوهم معه للطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن عمر بن سالم ركب، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره الخبر..."[٤١]

فانتقض بذلك العهد الذي بين المسلمين والمشركين وترتّب على ذلك فتح مكة المشهور.

(٤٠) انظر جمهرة اللغة، لابن دريد (٢/ ٩٣٢)

(٤١) دلائل النبوة، للبيهقي (٥/ ٦) وإسناده صحيح. انظر صحيح السيرة النبوية، للعلي (ص: ٤٠٢)

معني ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾

وأما معنى ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ في ضوء قصة النزول-: أي أن الله يذهب وَجْدَ قلوب المؤمنين من خزاعة، على الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمّها وكربها بما فيها من الوجد عليهم، بمعونتهم بكرًا.(٤٢)

وقد ذُكر في معنى ذهاب الغيظ احتمالان:

الأول: أنه يذهب الغيظ الذي كان في قلوب المشركين بعد أن يسلموا، فيكونون إخوانًا للمؤمنين.

الثاني: أن المشركين يُقتلون ويَهلكون، فيذهب عن المؤمنين الغيظ الذي حصل في قلوبهم.(٤٣)

والقول الثاني هو الأظهر في سياق الآية، وهو الذي دلّت عليه القصة التي نزلت فيها الآية.

عناية الله بقلوب المؤمنين في هذه الآية

لمّا حصل في قلوب المؤمنين من الغيظ جرّاء ما فعلته بنو بكر بالمؤمنين من خزاعة وتبعتهم على ذلك قريش لم يجعل الله ذلك الغيظ باقيًا في قلوبهم مهيمنًا عليها خالدًا فيها، بل أمر تعالى المسلمين بقتال المشركين، ووعدهم بالنصر، وجعل من ثمرات ذلك الجهادِ شفاءَ الصدور وذهابَ غيظ القلوب؛ لأن الغيظ كربٌ في القلب وألمٌ في

(٤٢) **انظر جامع البيان، للطبري (١١/ ٣٧١) الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٤/ ٢٩٤٥) التفسير الوسيط، للواحدي (٢/ ٤٨٢)**

(٤٣) **انظر تفسير الماتريدي (٥/ ٣١١)**

النفس، يمنع الإنسان من حسن التفكير، والراحةِ في الحياة والاستمتاعِ بنعم الله، فحمى الله عباده المؤمنين من أن يستمرّ هذا الغيظ في القلوب وأعتنى بتلك القلوب لكي تتفرّغ لما هو أنفع لها، وذلك بأن أزال هذا الغيظ منها بالسبب الشرعي وهو الجهاد؛ فهذا الغيظ إنما حصل في قلوب هؤلاء المؤمنين بسبب جناية المشركين عليهم، والمؤمنون متمسكون بشرع الله وبعهدهم مع رسول الله، ومن كان كذلك فلن يخذلهم الله.

قال السعدي: "فإن في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاءً لما في قلوب المؤمنين من الغمّ والهمّ –إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله– وزوالًا للغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم"(٤٤)

ومن مظاهر عناية الله بقلوب المؤمنين، أنه استُنبط من هذه الآية أن شفاءَ الصدور مِن ألم النكث والطعن، وذهابَ الغيظ الحاصل في صدور المؤمنين بسبب ذلك، مِن جملة المقاصد الشرعية.(٤٥)

ومن المظاهر أيضًا، إظهار معجزة غيبية تُثبِّت القلوب بعد أن أقلقها الغيظ وأربكها الوجد، فقد أخبر الله أنه سيجعل الغلبة للمؤمنين ويشفي صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم، وقد حصل ذلك، مع أنه لا توجد علامات مادية وإشارات تحليلية على حصول ذلك، لكن الله أخبر عن غيبٍ عنده، فصدّق المؤمنون وعد ربهم، فحصل ما كان سببًا لثبات القلوب وذهاب غيظها.

---

(٤٤) **تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٣٣١)**

(٤٥) **انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية (ص: ١٩) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٣٣١)**

وقد نصّ غير واحد من المفسرين على أن هذه الآية من المعجزات ودلائل النبوة.[٤٦]

وكذلك من عناية الله بعباده في تهيئة أسباب الثبات، هذا النصر الذي نالوه، والغيظ الذي فارقوه، قال الرازي: "ومن المعلوم أن من طال تأذيه من خصمه، ثم مكّنه الله منه على أحسن الوجوه فإنه يعظم سرورُه به، ويصير ذلك سببًا لقوة النفس، وثبات العزيمة."[٤٧]

ومن مظاهر عناية الله بالمؤمنين أنه غاير في التعبير بين الشفاء والإذهاب، فالشفاء يدلّ على أنه في مقابلة مرض، والإذهاب يدلّ على أنه في مقابلة عرض، وعبّر الله في الغيظ بقوله تعالى: ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ ؛لأن الغيظ ليس داءً، ولكنه حال عارضة من أمر قابل للزوال، والنصر يزيله، وفيه إشارة إلى حصول الوعد.

قال البقاعي: "ولما كان الشفاء قد لا يراد به الكمال، أتبعه تحقيقاً لكماله قوله: ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ أي يثبت بها من اللذة ضد ما لقوه منهم من المكروه، وينفي عنها من الألم بفعل من يريد سبحانه من أعدائهم، وذلّ الباقين ما كان قد برح بها، ولقد وفّى سبحانه بما وعد به، فكانت الآية من ظواهر الدلائل."[٤٨]

ومن مظاهر عناية الله في هذه الآية أن جعل جزاءه لهم فيما يعزّز مروءتهم ويعلي شرفهم ويحفظ كرامتهم، حيث لم يجعل ثوابهم في هذا المقام في حيازة الأموال والمآكل والمشارب؛ لأن الغيظ منشؤه أنفة الكرام، والكريم لا يُذهب غيظَه مأكلٌ ولا مشرب

---

(٤٦) **انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ٧٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (١/ ٦٦٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٣/ ٤٣٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٨/ ٣٩٧)**

(٤٧) **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (١٦/ ٦)**

(٤٨) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٨/ ٣٩٧)**

ولا مال كما يُصنع بقليلي المروءة وأصحاب الأنفس الدنيئة، والعرب قوم جُبلوا على الحمية والأنفة، فلذلك رغّبهم في هذه المعاني الواردة في الآية لكونها لائقة بطباعهم.(٤٩)

وهذا الغيظ الذي في قلوب المؤمنين هو من الغيظ المحمود؛ لأنه ناشئ عن حميّة دينية وأنفة شرعية، فهو ابتلاء للمؤمن ليختبر الله غيرته على دينه وصبره عليه وتحقيق عقيدة الولاء والبراء فيه، ثم إن الله لا يُبقي هذا الغيظ في قلبه فيفسده عليه، بل يُهيئ له من الأسباب الرافعة له بعد نجاحه في الامتحان، ثم يرتّب له على ذلك ثواب الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع: حماية قلوبهم من الزيغ.

قال الله تعالى:﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ٨﴾ [آل عمران: ٨]

معنى الزيغ في اللغة:

الزَيْغُ: الميلُ. وقد زاغَ يَزيغُ، وزاغَ البصر، أي كَلَّ. وأَزاغَهُ عن الطريق، أي أمالَه. وزاغَتِ الشمس، أي مالت(٥٠)

قال ابن الأثير: "يقال زاغ عن الطريق يزيغ إذا عدل عنه. ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه «أخاف إن تركت شيئًا مِن أمره أن أزيغ» أي أجور وأعدل عن الحق."(٥١)

(٤٩) **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (١٦/ ٦) بتصرف.**

(٥٠) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٤/ ١٠)**

(٥١) **النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٣٢٤)**

معنى الآية:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يدعوه بهذا الدعاء، والتقدير: قولوا ربنا،(٥٢) اصرف عنا ما ابتُلي به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آي القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه غير الله، يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدّوا عن سبيلك، ﴿لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ لا تملها فتصرفها عن هداك ﴿ بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ له فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه، ﴿ وَهَبۡ لَنَا ﴾يا ربنا ﴿مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾ يعني من عندك رحمة، يعني بذلك: هب لنا من عندك توفيقًا وثباتًا للذي نحن عليه، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ يعني: إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك.(٥٣)

ويحتمل أن يكون هذا الدعاء من قول الراسخين، الذين ذكرهم الله في الآية التي قبلها، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ٧﴾ [آل عمران: ٧]

وإذا كان من قول الراسخين، فإن هذا الدعاء جاء في سياق ثناء الله تعالى عليهم، وهو دليل على عظم شأن هذا الدعاء، وحاجة المؤمن له.

---

(٥٢) **انظر البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٣/ ٣١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٢/ ١٣) مبنى هذا المبحث على القول بأن الله أمر عباده المؤمنين بهذا الدعاء، وفي الآية قول آخر أن هذا من قول الراسخين العلم.**

(٥٣) **انظر جامع البيان، للطبري (٥/ ٢٢٨)**

قال ابن جرير: "يعني أنهم يقولون رغبة منهم إلى ربهم، في أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آي القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه غير الله، يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك، :﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ لا تملها فتصرفها عن هداك :﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ له فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه،:﴿وَهَبۡ لَنَا﴾ يا ربنا ﴿مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗۚ ﴾يعني من عندك رحمة، يعني بذلك: هب لنا من عندك توفيقًا وثباتًا للذي نحن عليه، من الإقرار بمحكم كتابك ومتشابهه ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ٨﴾ يعني: إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك."[٥٤]

عناية الله بقلوب المؤمنين في هذه الآية

أمرُ الله عباده بهذا الدعاء دليلٌ على عظم شأن هذا الدعاء، وحاجة المؤمن له، لا سيما وأن القلوب –كما جاء في الحديث[٥٥]–بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، وأن ثبات الراسخين على الإيمان بمحكم التنزيل ومتشابهه هو من حفظ الله لهم ورحمته به.

ولا غرو أن ذكر هذا الدعاء في هذا الموضع، هو تعليم من الله لعباده أن يلتزموه، وأن يكون منهم على بال في جميع الأحوال، وقد ذهب طائفة من المفسرين أن

٥٤ – **تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٥/ ٢٢٨)**

٥٥ – **رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم الحديث –٢٦٥٤– (٤/ ٢٠٤٥)**

هذا الدعاء من تعليم الله لنبيه أن يقوله لأمته، قال الحسن البصري في الآية: "هذا دعاء، أمر الله المؤمنين أن يدعوا به."(٥٦)

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بمثله ممتثلًا توجيه الآية، قالت أُم سلمة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] إلى آخر الآية.(٥٧)

وكان أبو بكر يفرد هذه الآية بالقراءة، فعن أبي عبد الله الصنابحي أنه قدم المدينة في خلافة أبي بكر الصديق، فصلى وراء أبي بكر المغرب، فقرأ أبو بكر في الركعتين الأوليين بأُم القرآن وسورة سورة من قصار المفصل، ثم قام في الركعة الثالثة، فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه، فسمعته قرأ بأم القرآن وهذه الآية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ الآية.(٥٨)

فهذا من تعليم الله رسوله والمؤمنين أن يقولوه، وإنما يرشدهم لما فيه حماية لقلوبهم من الزيغ والضلال بعد الهداية والاعتدال؛ فإن كون المؤمن يعلم أن القلب إذا زاغ زاغت جميع جوارحه كما صح في الحديث، فإنه سيكون حريصًا عل ثبات قلبه ودوام ذلك له.

وقد أخبر الله عن اليهود أنه أزاغ قلوبهم بسبب زيغهم بأعمالهم كما في قول الله تعالى:﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ٥﴾ [الصف: ٥] فلما فسقوا بأعمالهم أزاغ الله قلوبهم.

---

(٥٦) **تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (١/ ٢٧٦)**

(٥٧) **جامع البيان، للطبري (٥/ ٢٢٩)**

(٥٨) **موطأ مالك (١/ ٧٩) فضائل القرآن، للمستغفري (٢/ ٧٥٥) وصحّح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٣٨٧)**

ومن عناية الله بهم أن جعل قلوبهم قابلة للحق، مُبرّأة من الزيغ حيث أرشدهم لهذا الدعاء.

ومن عناية الله بهم أن علّمهم دعاءً فيه تبرُّؤٌ من الحول والقوة، حيث أدّبهم بأن يقولوا في دعائهم: {مِن لدنك} أي مِن عندك ومِن قِبلك، وذلك بأن يكون تفضّلًا منك لا عن سببٍ ولا عملٍ منا، وذلك بأن تكون إجابته محض رحمة منه سبحانه وتعالى.(٥٩)

والقلب إذا استحضر هذا وهو يدعو فإنه سيكون في غاية الخضوع والذلّ لله؛ معترفًا بمنتهى الضعف إن لم يكون له عون من الله كما قيل:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِن اللهِ لِلْفَتَى ... فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

المبحث الخامس: تطهير قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

معنى الطهر في اللغة:

طهُر الشيء يطهر طهارةً، والاسم الطُّهر، يدل على نقاء وزوال دنس، والتطهُّر التنزّه عن الذمّ وكلّ قبيح، والطهارة نوعان: طهارة جسم، وطهارة نفس، وكلاهما ورد في القرآن.(٦٠)

(٥٩) **انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ٤٠٤) تفسير القرطبي (٤/ ٢١)**

(٦٠) **انظر مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٤٢٨) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٥٢٥)**

معنى الآية:

ورد هذا الجزء من آية الأحزاب في سياق أدب الاستئذان في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، ومن جملة ذلك: أدب مخاطبة الصحابة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأدب مخاطبتهن لهم، وهذه الآية أصل في حكم الحجاب على عموم النساء.

المراد بالمتاع والحجاب والطهارة في الآية:

والمتاع في الآية، قيل: هو الطعام. وقيل: صحف القرآن.(٦١)

والصواب أنها تشمل الطعام والصحف وغيرها، قال ابن عطية: "والمتاع عام في جميع ما يمكن أن يطلب على عرف السكنى والمجاورة من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا"(٦٢)

والمراد بالحجاب الستار والباب ونحوهما، مما يحول بين الرجل والمرأة.(٦٣)

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ أي الأمر بذلك وامتثاله أطهر لقلوبكم من مرض الشهوة ودنس الفاحشة، قال يحيى بن سلام: "﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يعني: من الريبة والدنس"(٦٤)

وذلك أن الرجل إذا رأى المرأة ورأته من غير حجاب قد يقع في نفس كلٍّ منهما من الفتنة ما يصعب دفعها، ولذلك أمر الله بغض البصر لكلا الجنسين حيث قال: ﴿قُل

(٦١) **انظر الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٨٦٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (٢/ ٩٢٢)**

(٦٢) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤/ ٣٩٦)**

(٦٣) **انظر جامع البيان، للطبري (١٩/ ١٦٦) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٧٠)**

(٦٤) **تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٧٣٤)**

لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ٣٠﴾ [النور: ٣٠]، وأمر المؤمنات بذات الأمر فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] وقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢]

قال الرازي: "وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يعني العين روزنة القلب(٦٥)، فإذا لم تر العين لا يشتهي القلب، أما إن رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر"(٦٦)

قال مكي بن أبي طالب:" ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ أي: مخاطبتكم لهن من وراء حجاب أطهر لقلوبكم، وقلوبهن من عوارض الفتن."(٦٧)

عناية الله بقلوب المؤمنين في هذه الآية:

عناية الله بقلوب المؤمنين وحمايتها في هذه الآية تتجلّى في الأمر الذي أمرهم به–وهو مقدور عليه– والتعليل الذي رتّب عليه الحكم، حيث أمرهم بالتخاطب من وراء حجاب، لتبقى قلوبهم طاهرة، بل ولتزداد طهارة على طهارة كما يفيده التعبير بصيغة التفضيل في قوله تعالى ﴿ أَطۡهَرُ﴾ فقد علم الله أثر الفتنة التي تقع في قلب المؤمن والمؤمنة وأنها تُدنّسه بالشهوة المحرمة التي تثقل العبد عن معرفة الله وخشيته واستحضاره في القلب وطاعته.

(٦٥) **الروزنة: الفتحة أو الفجوة. انظر تكملة المعاجم العربية (٥/ ١٣١)**

(٦٦) **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (٢٥/ ١٨٠)**

(٦٧) **الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٨٦٣)**

قال القرطبي قوله تعالى: "﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية"(٦٨)

وهذا الحكم عام لكل مؤمن ومؤمنة وليس خاصًا بالصحابة وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، يدلّ عليه عموم التعليل بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ فلا أحد يقول: إن المطالبين بطهارة القلوب هم الصحابة وزوجات رسوله فقط.(٦٩)

ومع أن الآية أول ما نزلت في شأن الصحابة وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنها لغيرهم آكد: لأن هذا الحكم إذا كان مطالبًا به خير القرون فمن دونهم أولى، ولذلك فلا ينبغي للمؤمن أن يأمن على نفسه ويثق بها، ولا يعتمد على تدينه أو مروءته حينئذ، ولكن يمتثل أمر الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ليبقى محميًّا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

المبحث السادس: الربط على قلوبهم.

معنى الربط:

ربطَ، مِن ربطت الشئ أربطه، وأربطه أي شددته، والرِباطُ: ما تُشَدُّ به القربة والدابة وغيرهما، ويقال: رجل رابط الجأش، أي شديد القلب والنفس.(٧٠)

ورد ذكر ربط الله على قلوب المؤمنين في ثلاثة مواضع:

(٦٨) **الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/ ٢٢٨)**

(٦٩) **انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٦/ ٢٤٢)**

(٧٠) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٣/ ٣٦٣) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٧٨)**

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ١١﴾ [الأنفال: ١١]

معنى الآية:

يذكّر الله منّته على الصحابة إذ أمّنهم بالنعاس من الخوف الذي أصابهم في غزوة بدر، فبالنوم يزول الرعب، ويذكر الله تعالى إنزاله للغيث الذي فيه طهارة لأبدانهم من الأحداث، ولقلوبهم من وساوس الشيطان بعد أن قيل لهم: كيف ترجون الظفر وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تُصلّون مجنبين ومحدثين، وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم نبيه! وليكون ذلك الإنزال سببًا لتقوية القلوب وثقتها بنصر الله، ولتثبت الأقدام حتى لا تغوص في الرمل بتلبيد الأرض بالماء.(٧١)

وقد اختلفت عبارات السلف في الذي ربط الله به قلوبهم على أقوال:

القول الأول: أنه الصبر، وهو مروي عن ابن عباس–رضي الله عنهما– وقتادة.(٧٢)

القول الثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل.(٧٣)

القول الثالث: أنه المطر الذي أرسله يثبّت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة.(٧٤)

---

(٧١) **النكت والعيون، للماوردي (٢/ ٢٩٩) التفسير الوسيط للواحدي، للواحدي (٢/ ٤٤٧) تفسير البغوي (٣/ ٣٣٤)**

(٧٢) **انظر تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٦٦)**

(٧٣) **انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٤)**

(٧٤) **انظر النكت والعيون، للماوردي (٢/ ٣٠٠).**

والظاهر أن ما حصل به الربط يشمل هذه الأقوال الثلاثة، وهو متّسق مع معنى الآية، ولذلك قال الثعلبي: " ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ باليقين والصبر"[٧٥] ففسر الآية بالقولين، وهو كذلك مروي عن ابن عباس–رضي الله عنهما– [٧٦]

عناية الله بالقلوب في هذه الآية:

لما كان المؤمنون في جهاد، وكان الجهاد يحتاج إلى قوة قلب قبل قوة البدن، هيأ الله لهم من الأسباب الظاهرة والباطنة التي قوّت قلوبهم من الجزع والخوف ومن الاضطراب والشك، فالأسباب الظاهر ما أنزله الله لهم من غيث يرون به توطئةً للنصر، وأما الأسباب الباطنة ما يشعرون به من الأمن واليقين، والذي دلّل عليه غشيان النعاس لهم، فإن النوم لا يطرق عين الخائف، وإنما يتسلّل للآمن.

قال ابن كثير: " ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ وهو شجاعة الظاهر، والله أعلم."[٧٧]

ومما يدلّ على عناية الله بهذه القلوب في هذا الموضع أن الله لما ذكر إنزال الغيث ذكر العلة الأولى وهي قوله: ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ ثم ذكر بعدها ثلاث تعليلات معطوفة على التطهير، وهي ذهاب رجز الشيطان، والربط على القلوب، وتثبيت الأقدام، فلم يُعَد حرف التعليل إلا في ربط القلوب، ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ

(٧٥) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٤/ ٣٣٣)**

(٧٦) **انظر البسيط، للواحدي (١٠/ ٤٧)**

(٧٧) **تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤)**

ٱلۡأَقۡدَامَ١١﴾ [الأنفال: ١١] فإعادة حرف التعليل في الربط خاصة، فيه دلالة ظاهرة على عظم شأن القلب الذي إن رُبط عليه قام في الجهاد حق القيام.

وقد أجاز الزجاج أن يكون الضمير في {به} في قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ عائدًا على الربط، أي يثبت الله الأقدام بهذا الربط،(٧٨) قال الزمخشري: " لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال"(٧٩)

ومن لطائف التعبير أن الفعل ربط تعدّى بالحرف (على) ولم يتعدّ بنفسه، فلم يقل: يربط قلوبكم، قال الرازي: "(على) تفيد الاستعلاء، والمعنى أن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها."(٨٠)

وقد يُظنّ أن معنى الفعل (ربط) إذا عُدّي بنفسه أو عُدّي بـ(على) واحد، وهذا ما قد يظهر من كلام الواحدي حيث قال: "ويشبه أن يكون (على) هاهنا صلة، والمعنى: وليربط على قلوبكم بالصبر، وما أوقع فيها من اليقين فتثبت ولا تضطرب."(٨١)

وقد ردّه ابن القيم، فقال: "وقد ظن الواحدي أن (على) زائدة والمعنى يربط قلوبكم، وليس كما ظن، بل بين ربط الشيء والربط عليه فرق ظاهر؛ فإنه يقال: ربط الفرس والدابة، ولا يقال: ربط عليها. فإذا أحاط الربط بالشيء وعمَّه قيل ربط عليه، كأنه أحاط عليه بالربط فلهذا قيل: ربط على قلبه وكان أحسن من أن يقال: ربط قلبه" (٨٢)

---

(٧٨) **انظر معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٤٠٤).**

(٧٩) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٢٠٤)**

(٨٠) **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (١٥/ ٤٦٢)**

(٨١) **التفسير البسيط، للواحدي (١٠/ ٤٧)**

(٨٢) **التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص: ١٨٩)**

فالتعدية بحرف (على) نوع من العناية اللفظية من الله تعالى، تضاف إلى تكرار حرف التعليل الذي أفاد عناية خاصة بفعل الربط، كما تقدّم.

الموضع الثاني: قال الله تعالى:﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ١٤﴾ [الكهف: ١٤]

معنى الآية:

هؤلاء الفتية هم أصحاب الكهف وقد رأوا شرك قومهم وبعدهم عن ربّهم، فتركوا عبادة الآلهة التي تُعبد من دون الله، فعاتبهم قومهم بما فيهم مِلِكُهم، فربط الله على قلوبهم في تلك الحال فأعلنوا كلمة الحق فقالوا: ربنا ملك السماوات والأرض وما فيهما من شيء، وآلهتكم مربوبة، لن ندعو من دون رب السماوات والأرض إلهًا، لأنه لا إله غيره، وأن كل ما دونه فهم خلقه، ولئن دعونا إلهًا غير إله السماوات والأرض، لقد قلنا إذًا بدعائنا إلهًا غيره كذبًا غاليًا وجورًا ظاهرًا.(٨٣)

معنى الربط في الآية:

واختُلِف في الذي ربطت به قلوبهم في الآية:

فقيل: بالصبر.(٨٤) وقيل: بالإيمان، وهو مروي عن قتادة.(٨٥)

(٨٣) **جامع البيان، للطبري (١٥/ ١٧٩) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٤٠)**

(٨٤) **انظر بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٤٠) التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ١٣٨)**

(٨٥) **انظر تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٧٤) جامع البيان، للطبري (١٥/ ١٧٩) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥١)**

والظاهر صحة المعنيين؛ لأن كلًّا منهما يستلزم الآخر، وكذلك فسّر الآية بكلا القولين جمع من المفسرين، قال ابن جرير: "وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان."(٨٦)

واختيار الربط دون لفظ التثبيت ونحوه فيه نكتة لطيفة، قال ابن عطية: "ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال، حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن يشبه الربط، ومنه يقال: فلان رابط الجأش إذا كان لا تَفْرَقُ نفسه عند الفزع والحرب وغيرها، ومنه الربط على قلب أم موسى"(٨٧)

وقال الواحدي: "﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ ثبتناها بالصَّبر واليقين"(٨٨)

وقال البغوي: "﴿وَرَبَطْنَا ﴾ شددنا ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان"(٨٩)

عناية الله بقلوبهم في هذا الموضع:

إن الله لما علم أنهم أهل طاعة وتقوى لم يكن ليتركهم مضطربي القلب قلقين خائفين، بل ثبّت قلوبهم بين يدي عدوِّه وعدوّهم، فقاموا أجلّ قيام.

قال الشنقيطي: "ويفهم من هذه الآية الكريمة: أن من كان في طاعة ربه جل وعلا أنه تعالى يقوي قلبه، ويثبته على تحمل الشدائد، والصبر الجميل."(٩٠)

---

(٨٦) **جامع البيان، للطبري (١٥/ ١٧٩)**

(٨٧) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ٥٠١)**

(٨٨) **الوجيز للواحدي (ص: ٦٥٥)**

(٨٩) **تفسير البغوي (٥/ ١٥٦)**

(٩٠) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢١٤)**

ومن عناية الله بهم –حينما ربط على قلوبهم وثبّتها بالإيمان واليقين والصبر–، أن رخّص الله في قلبوهم الدنيا فتركوا ما كانوا فيه من رغد العيش، حيث كانوا من بيوت ميسورة(٩١)، وكما هو معلوم أن تَعَلُّقَ قلوبِ من كانوا كذلك بالدنيا يظهر أكثر من غيرهم، إلا أن الله حمى تلك القلوب من أن تتعلّق بالدنيا على حساب الآخرة، وهذا لا يكون إلا لقلوب اطمأنت بنصر الله وصدق وعده وسعة رحمته.

قال السعدي: "﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة، وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأنينة"(٩٢)

ومن عناية الله بهم أن نزع خوف قومهم من قلوبهم، فإنه لم يمنعهم الخوف من بطش ملكهم واستنكار آبائهم وقومهم عليهم، من أن ينكروا عليهم، بل قاموا قومة رجل واحد فدعوا إلى توحيد الله ونبذ الآلهة التي تُعبد من دونه.

ومن عناية الله بهم أنه قوّى قلوبهم على هجر الوطن الواسع إلى الكهف الضيق؛ لأن البلد الذي يُشرك بها الله بلد ضيق، والموضع الذي يوحّد الله به موطن واسع، وهذا لا يقوى عليه قلب لم يربط الله عليه.

قال الزمخشري: "﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ وقوّيناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسّرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام"(٩٣)

---

(٩١) **انظر تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٠)**

(٩٢) **تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٧٢)**

(٩٣) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٧٠٧)**

الموضع الثالث: قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ١٠﴾ [القصص: ١٠]

معنى الآية:

لما ألقت أُم موسى ابنها موسى–عليه السلام– في اليمّ، انشغل فؤادها به حتى فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى، حتى كادت أن تخبر بأن الرضيع الذي في بيت فرعون ولدها، وأنها ألقت به في اليمّ خشية أن يقتله رسل فرعون، إلا أن الله تداركها برحمة منه وفضل، فربط على قلبها فلم تفصح عنه، ولم تظهر لهم معرفته حتى بعد أن جاءوا به إليها، وكل ذلك لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله تعالى، حيث وعدها بأن يردّ إليها ولدها.(٩٤)

وفي معنى ما ربط به قلبها قولان:

الأول: بالإيمان. وهو مروي عن قتادة.(٩٥) ويؤيد هذا القول قوله تعالى بعدها ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِين١٠﴾

الثاني: بالعصمة. وهو مروي عن السدي،(٩٦) أي أن الله عصمها بألا تذكر اسم موسى، وهذا يؤيده قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾

(٩٤) **انظر جامع البيان، للطبري (١٨/ ١٦٧) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٦٠٠)**

(٩٥) **انظر تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥٨٠) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٨٧) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧)**

(٩٦) **انظر تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧) النكت والعيون، للواحدي (٤/ ٢٣٨) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٢٥٦)**

عناية الله بقلب أم موسى في هذا الموضع:

تظهر عناية الله بقلب أم موسى، بأن عصمها من البوح بذكر اسم ابنها، فيكون ذلك سببًا لقتل موسى الذي أراد الله له أن يُربّى في بيت فرعون.

وفي ذلك دلالة على أن الله يربط على قلب عبده المؤمن عند الملمات لئلا يؤذي نفسه، أو يؤذي إخوانه من المؤمنين، فالمؤمن للمؤمن كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص، وقد ختم الله الآية بقوله ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الدالة على أن المؤمنين هم أهلٌ لربط الله على قلوبهم.

المبحث السابع: تثبيت الإيمان في قلوبهم..

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]

معنى الكتب في اللغة:

كتب: أصل يدلّ على ضمّ شيء لشيء.(٩٧)

معنى الآية:

نفت الآية أن يكون هنالك مؤمنون في قلوبهم مودّة ولطف لمن حارب الله ورسوله من الكافرين والمنافقين ولو كانوا أقرب الناس لهم؛ لأن ذلك يقدح في صحة الإيمان أو

(٩٧) انظر مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١٥٨) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٦٩٩)

كماله، وسبب عدم الموادّة بينهم أن الله أثبت في قلوبهم الإيمان الداعي إلى معاداة الكفار المحادّين لله ولرسوله.(٩٨)

معنى الكتب في الآية:

اختلفت عبارات المفسرين في معنى الكتب في الآية:

فقيل: جعل الله في قلوبهم الإيمان. وقيل: قضى لقلوبهم الإيمان. وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنّها موضعه. وقيل: أثبت، وقيل: أدخل.(٩٩)

وهذه المعاني كلها صالحة لمعنى الكتب؛ لأنها تدور على حصول الإيمان في قلوبهم لدلالة (في) الظرفية، فالله جعله في قلوبهم، وأثبته، وقضى به، وحكم لهم.

عناية الله بقلوب المؤمنين في هذه الآية:

لما كان أوثق عُرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله، وكان بُغضُ الكافر القريب وعدم مودّة قد تشق على النفس البشرية بطبيعتها، فإن الله حمى قلوب عباده المؤمنين مِن أن يكون في قلوبهم مودّة للكافرين، ولذلك جاء أول الآية بالنفي، وأنه لا يوجد شرعًا ولا ينبغي فعلًا أن يوجد من يوادّ أعداء الله ولو كانوا أقرب قريب.

ومن عناية الله بتلك القلوب أن قد عوّضها بالرضا عن أصحابها ووعدهم بدخول الجنة، حيث قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ

(٩٨) **انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٢٨٢)**

(٩٩) **انظر لهذه الأقوال متفرقة: جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٤٩٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٩/ ٢٦٥)بحر العلوم (٣/ ٤٢٠) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٥٦٥) النكت والعيون (٥/ ٤٩٦) التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٢٦٨)**

وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]

ومن مظاهر العناية بهم أن جعل تلك القلوب تستحضر أنهم إن تركوا مودّة القريب فلن يكونوا وحيدين كمن ليس له أهل ولا عشيرة، بل سيكونون من حزب الله، والذي الأنس به يقضي على كل وحشة، فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]

قال ابن كثير: "من اتصف بأنه لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان، أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته."(١٠٠)

المبحث الثامن: تخليص قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ٣﴾ [الحجرات: ٣]

معنى الامتحان في اللغة:

يقال امتحنت الرجل ومحنتُه أي بلوتُه إذا اختبرته.(١٠١)

معنى الآية:

نهى الله قبل هذه الآية المؤمنين عن رفع الصوت بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، أو مناداته كما ينادي بعضهم بعضًا، لما في ذلك من خطر حبوط العمل، ثم أثنى

(١٠٠) **تفسير ابن كثير (٨/ ٥٤)**

(١٠١) **انظر تهذيب اللغة، للأزهري (٥/ ٧٨) جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ٥٧٢)**

الله على أولئك الذين يخفضون أصواتهم بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله قد امتحنهم بذلك النهي، فامتثلوا، فأخلص الله لهم قلوبهم ونقّاها لهم، ورتّب على ذلك المغفرة والاجر العظيم.(١٠٢)

معنى الامتحان في الآية: قال الزجاج: "اختبر اللَّه قُلُوبَهم فَوَجَدَهُمْ مُخْلِصِين – كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب وهذه الفضة. تأويله قد اختبرْتُهُمَا بأن أذَبْتُهَمَا حتى خلصت الذهَب والْفضة."(١٠٣)

قال مجاهد: "﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ أخلص الله قلوبهم."(١٠٤)

وقال قتادة: "أخلص الله قلوبهم فيما أحب."(١٠٥)

عناية الله بالقلوب في هذه الآية:

لما كان قلب المؤمن محاطًا بعناية الله، فإنه سبحانه يُظهر للناس نفاسة معدن أوليائه المؤمنين بأن يمتحن قلوبهم بما لا تنكره ولا تعجز عنه، فيظهر صدقها مع الله وأدبها في امتثال أوامره، لما ظهر فيها من إخلاص، وليعلم الناس مكانة هؤلاء من الله؛ إذ أظهر صلاح فعلهم وصدق إيمانهم، وابتعادهم عن الشبهات والشهوات التي تقدح في

(١٠٢) **انظر تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (٤/ ٢٦١) الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١١/ ٦٩٩١)**

(١٠٣) **معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٥/ ٣٣)**

(١٠٤) **تفسير مجاهد (ص: ٦١٠) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٤٤)**

(١٠٥) **تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢١٩) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٤٤)**

الإيمان. قال عمر –رضي الله عنه–: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾: "ذهب بالشهوات من قلوبهم"(١٠٦)

ومن عناية الله بقلوب المؤمنين هنا، أن هذا الامتحان هو تهيئة لأن تكون قلوبهم مستعدّة للتقوى، قادرة عليه، قابلة له كل وقت وحين.(١٠٧)

وهذه العناية في المبدأ، وأما العناية بالثمرة والنهاية أن هذا الامتحان يُعقبه الله مغفرةً لذنوبهم السالفة، وبشرى لأجر عظيم في حياتهم الباقية.(١٠٨)

المبحث التاسع: التأليف بين قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

معنى ألّف في اللغة:

أصلها من الأُلفة وهو الاجتماع مع التئام، فإذا ضممت الشيء إلى الشيء فقد ألّفته، ويقال للمألوف: إِلْفٌ وأَلِيفٌ.(١٠٩)

معنى الآية:

يأمر الله تعالى المؤمنين من الأوس والخزرج أن يتمسكوا بدينه وعدم التفرّق فيه، ويبيّن الله لهم مِنَّته عليهم، إذ كان بينهم حروب وعداوات، دامت أكثر من مائة سنة،

---

(١٠٦) **شعب الإيمان (٧/ ٤٨٥) وقال المحقق: إسناده صحيح.**

(١٠٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ١٤٥)

(١٠٨) انظر مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (٢٨/ ٩٥)

(١٠٩) انظر مقاييس اللغة (١/ ١٣١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨١)

فكان شديدهم يأكل ضعيفهم، فأسلموا، فعُصمت دماؤهم وتآلفت قلوبهم وصاروا بالإسلام إخوانًا، ولولا ذلك لكان من مات منهم في النار.(١١٠)

مظاهر عناية الله في الآية:

الألفة بين القلوب لا تكون إلا بأمر يسمو عن الخلافات الدنيوية، ولم يكن الأمر ليحصل للأوس والخزرج لولا أن الله هداهم للإسلام، ولما كان الإسلام يتطلّب نصرةً من أهله، وأهله محتاجون إلى شرف نصرته، حمى الله قلوبهم من الفرقة والرجوع إلى ما كانوا عليه من الاقتتال، فكانت هذه الألفة سببًا في إغاظة اليهود والمنافقين في المدينة، ومشركي قريش والعرب خارجها.

قال ابن عثيمين في معرض هداية قول الله تعالى: ﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ ٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١] "ومنها: عناية الله عزّ وجلّ بعباده في أن يتعاملوا بينهم بالمعروف سواء في حال الاتفاق، أو في حال الاختلاف؛ لأن ذلك هو الذي يقيم وحدة الأمة؛ فإن الأمة إذا لم تتعامل بالمعروف – بل بالمنكر، والإساءة – تفرقت، واختلفت؛ فالأمة الإسلامية أمة واحدة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]"(١١١)

وهذه الألفة وإن كانت للمسلمين زمن النزول إلا أنها مستمرة لمن جاء بعدهم، قال ابن عاشور: " وهذا التذكير خاص بمن أسلم من المسلمين بعد أن كان في الجاهلية، لأن الآية خطاب للصحابة، ولكن المنّة به مستمرة على سائر المسلمين، لأن كل جيل

(١١٠) **انظر تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٠٨) جامع البيان، للطبري (٥/ ٦٥٠) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٦)**
(١١١) **تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ١٢٧)**

يُقدّر أن لو لم يسبق إسلام الجيل الذي قبله لكانوا هم أعداء وكانوا على شفا حفرة من النار."[١١٢]

ومن عناية الله بهم أنه لم يكلّفهم بهذه الألفة، بل هو الذي أنزلها في قلبوهم ومكّنها منهم، فهذه الألفة لا يقدر عليها أهل الأرض ولو أنفقوا أموالهم لأجلها، ولو نظموا الأشعار والحكم للوصول إليها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣]

المبحث العاشر: هداية قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ١١﴾ [التغابن: ١١]

معنى الآية:

ما حصل للإنسان من مصيبة في الدنيا إلا وهي بتقدير الله تعالى وإذنه بحصولها، ومن يؤمن بذلك يوفق الله قلبه للرضا والتسليم.

قال ابن عباس–رضي الله عنه–: "يعني: يهدِ قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[١١٣]

عناية الله بالقلوب في هذه الآية:

تظهر عناية الله بقلب المؤمن في الآية من خلال الرضا بقضائه وقدره، وعدم التسخط والجزع الذي يُفسد على المؤمن دينه، بل ودنياه، فإن الرضا طمأنينة وسكينة،

(١١٢) **التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ٣٢)**

(١١٣) **جامع البيان، للطبري (٢٣/ ١٢)**

والتسخط على المصيبة مصيبة أخرى، وهو مانع من القيام بحقوق الله وحقوق عباده؛ لأن المتسخط لا تنبعث نفسه على العمل، ولا تنشط على أداء الحقوق، فحماية الله لقلب المؤمن من ذلك نعمة عظيمة، ومنّة كريمة.

والسكينة التي تحل في قلب المؤمن مع وجود المصيبة لها لذة في يقين العبد بربّه وبصدق وعده، وقد قُرئت {يهدأ} وهو السكون، قال الزجاج: "وقُرِئت {يَهْدأَ قلبُه}، تأويله: هَدَأَ قَلْبُه يهدأ إذا سكن، ويكون على طرح الهمزة...ويكون التأويل إذا سَلَّمَ لأمر الله سَكَنَ قَلْبُه."(١١٤)

المبحث الحادي عشر: تزيين الإيمان في قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ٧﴾ [الحجرات: ٧]

معنى الآية:

هذه الآية لها تعلق بما قبلها من جهة تمام معناها: فقد أمر الله المؤمنين بالتثبّت من الخبر الذي يُنقل إليهم من فاسق، لئلا يكون تصديقهم له سببًا في رمي قوم بريئين بما ليس فيهم. ثم قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه، فإن الله سيخبر رسوله ويُعرّفه أحوالكم فتفتضحوا، ولو أطاعكم الرسول في كثير مما تخبرونه به فيحكم برأيكم، لأثمتم وهلكتم، ولكن الله جعله أحبَّ الأديان إليكم، وحسّنه،

(١١٤) **معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٥/ ١٨١) انظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٣٢٣)**

في قلوبكم حتى اخترتموه، وكرّه إليكم الكفر ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾الذي هو الكذب ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ جميع معاصي الله.(١١٥)

معنى التزيين في الآية:

قيل: إن الله حسّنه بالثواب الذي وعدكم به.

وقيل: حسّنه بالحجج القاطعة على كونها حقًّا وصدقًا.(١١٦)

وكلا المعنيين تحتمله الآية، وهو من التزيين بلا شك.

عناية الله بالقلوب في هذه الآية:

لولا تزيين الله الإيمان في قلب المؤمن لكان في قبوله ثقل، وفي الاستمرار عليه مشقة، لكنه حبّبه إليهم وزيّنه حتى قبلوه أولا، ولم يملّوه فاستمروا عليه ثانيًا،(١١٧) ولذلك كان في مقابل تزيينه تكريههم بالكفر والفسوق العصيان، وهذا هو أوثق عرى الإيمان، وهو حبُّ ما يحبّه الله من الأعمال الصالحة وبغض ما يبغضه الله من الأعمال السيئة.

قال ابن القيم: " فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبته في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه سواه، وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره، فإنما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته، فأخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين حبَّه وحُسنَه الداعي إلى حبِّه، وألقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق

(١١٥) **انظر تفسير البغوي (٧/ ٣٣٩)**

(١١٦) **انظر إلى القولين بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٢٥) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (٤/ ٢٦٢) النكت والعيون، للماوردي (٥/ ٣٢٩)**

(١١٧) **انظر مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (٢٨/ ١٠٢)**

والعصيان، وإن ذلك محض فضله ومنّته عليهم حيث لم يكلهم إلى أنفسهم، بل تولّى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين، وتكريه ضده، فجاد عليهم به فضلا منه ونعمة، والله عليم بمواقع فضله ومن يصلح له ومن لا يصلح، حكيم بجعله في مواضعه."(١١٨)

المبحث الثاني عشر: إنزال السكينة في قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا٤﴾ [الفتح: ٤]

معنى السكينة في اللغة:

سكن الشيء يسكن سكونًا فهو ساكن، أي استقر وثبت. والسَكينَةُ: الوَداعُ والوقار، وهو يدل على خلاف الاضطراب والحركة.(١١٩)

قال الفيروزآبادي: "وأصل السَّكينة هى: الطمأنينة والوقار والسكون الذى يُنزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يَرِد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوّة اليقين والثبات."(١٢٠)

معنى الآية:

هذه الآية جاءت في سياق قصة صلح الحديبية الشهير، وقد حصل من الاضطراب والقيل والقال عند كتابة الصلح ما الله به خبير، فأنزل الله الطمأنينة في قلوب المؤمنين، فرضوا وسلّموا، ليزيدهم بهذا التسليم إيمانًا مع إيمانهم السابق، ثم ختم الله الآية

(١١٨) **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص: ٥٧)**
(١١٩) **انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٥٦٨) مقاييس اللغة (٣/ ٨٨)**
(١٢٠) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (٣/ ٢٣٨)**

بأنه ينصر رسله، فله تعالى جنود السموات والأرض، وهو عليم بما سيكون، حكيم فيما يأمر به أن يكون.[١٢١]

معنى السكينة في الآية:

قال ابن عباس–رضي الله عنه–: الرحمة.[١٢٢] وقال غيره: السكون والطمأنينة.[١٢٣]

عناية الله بقلوب المؤمنين في هذه الآية:

القلب المضطرب لا يكون محلًا للإيمان ولا لزيادته، وقد حمى الله قلوب أهل الإيمان أن تكون كذلك، فوطّن قلوبهم لقبول الإيمان وزيادته بالسكينة والطمأنينة؛ لأن الإيمان لا يسكن إلا في قلب ساكن، ولا يستقرّ إلا في قلبٍ مطمئن.

ولولا الطمأنينة والسكينة لانزعجت قلوبهم مما يرد عليها من حقائق الإيمان؛ لأنهم لا يجدون برد اليقين في قلوبهم.[١٢٤]

قال السعدي: "يخبر تعالى عن منّته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه"[١٢٥]

---

(١٢١) **انظر بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٠٩)**

(١٢٢) **جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٤٥)**

(١٢٣) **انظر غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤١٢) الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١١/ ٦٩٣٩)**

(١٢٤) **التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ١٣٥)**

(١٢٥) **تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٩١)**

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله الذي أعان القلب بالعزم على هذا البحث والكتابة، ويسّر إتمامه على وجه القدرة والاستطاعة، وبعد، فإنه يحسن عند خاتمة البحث تسطير أهمّ النتائج والتوصيات التي يصل إليها الباحث، فأجملها فيما يلي:

أهم النتائج:

١- الفرق بين القلب والفؤاد في اللغة واستعمال القرآن.
٢- أن الله يذكر قلوب العاملين في القرآن؛ لأنها محلّ نظره أولًا، ومنطلق صلاح العبد وفساده.
٣- أن قلوب المؤمنين لولا عناية الله بها وحمايته لها لضلّت كما ضلّت قلوب غيرهم.
٤- ضرورة توجّه القلب إلى الله في طلب العون والثبات.

التوصيات:

١- إبراز تناول القرآن للقلوب، سواء كانت قلوب المؤمنين أم قلوب غيرهم، في الخطب والدروس.
٢- دراسة الأوجه البلاغية والبيانية، خاصة في إسناد الأفعال لله تارة وللقلوب تارة فيما يتعلّق بصلاحها.
٣- دراسة أسباب الاختلاف في المغايرة في الاستعمالات الخاصة بالقلب، والاستعمالات الخاصة بالفؤاد.
٤- دراسة أحوال قلوب غير المؤمنين وأسباب ما حلّ بها من ضلال وزيغ وطبع.

المراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ

٢- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٤- إيجاز البيان عن معاني القرآن، المؤلف: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

٥- باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، المؤلف: محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد ٥٥٣هـ)، المحقق (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى، عام النشر: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٦- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٧- البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر ١٩٩٦ م

٩- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

١٠- التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان

١١- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

١٢- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه

وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١٣- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٤- تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

١٥- تفسير القرآن العزيز المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ

١٨- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

١٩- تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

٢٠- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٢١- تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٢٢- تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م

٢٣- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ

٢٤- تفسير يحيى بن سلام، المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٢٥- تكملة المعاجم العربية، المؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ) نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م

٢٦- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٢٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٩- الجامع لأحكام القرآن المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٠- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

٣١- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، المؤلف : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى : ٦٧٦هـ)، المحقق : حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، الناشر : مؤسسة الرسالة – لبنان – بيروت، الطبعة : الاولى ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

٣٢- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ

٣٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

٣٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية

٣٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، بتحقيق: د. إيميل بديع يعقوب، د. محمد نبيل طريفي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

٣٦- صحيح السيرة النبوية، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٣٧- غرائب التفسير وعجائب التأويل، المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت

٣٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٣٩- غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٤٠- فضائل القرآن، المؤلف: أَبُو العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ المُعْتَزِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُسْتَغْفِرِ بنِ الفَتْحِ بنِ إِدْرِيْسَ المُسْتَغْفِرِيُّ، النَّسَفِيُّ (المتوفى: ٤٣٢هـ)، المحقق: أحمد بن فارس السلوم، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م

٤١- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م

٤٢- كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال

٤٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: جار الله محمود بن عمرو، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٤٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

٤٥- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٤٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م

٤٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٤٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٤٩- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

٥٠- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥١- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٥٢- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

٥٣- موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

٥٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٥٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى:

٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي

٥٦- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٥٧- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون. عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م

Care of Allah the Most Merciful to the Believers' monotheistic Hearts in the Holy Quran: An Objective Study

Abstract:

This research contains the Quranic verses indicating and showcasing the care of Allah for the believers' hearts, and Allah's protection for them, and then it explains its meaning and deducts the Allah's cares for the believers through it.

The aim of this is to suspend the believers' and monotheists' hearts with Allah, The Lord of The Worlds, and to highlight the need of believer to his heart's life through the Holy Quran, and to mainly highlight the cares of Allah for the believers' and monotheists' hearts.

The most important results of this study indicated the differences between the heart and the core in the language and the usage in the Holy Quran. Allah mentions the workers' hearts in the Holy Quran, because it is his first view. If Allah doesn't care and protect the believers' and monotheists' hearts, they will lose them like others and they will go astray.

The recommendations of this study were summarized to highlight how the Holy Quran focused and paid particular attention to the hearts as a main subject in the Holy Quran, and it studied the rhetorical and metaphorical aspects for this, particularly in assigning deeds to Allah on hand and to the heart on the other hand with regard to its goodness. In addition, it this research sheds light on studying the difference reasons in the particular usage of the heart and the core.

Keywords: care, hearts, believers, monotheists of Allah, protection